مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: خاص جانفي 2022
العنوان: الغناء والطرب عند المسلمين ق 1- 4 هـ... ص.ص 662- 699.

الغناء والطرب عند المسلمين
(ق 1 - 4 هـ / ق 7 - 10 م)

داودي الأعرج
المركز الجامعي نور البشير- البيض
daouidi.r@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/02/29؛ تاريخ القبول: 2021/06/11

Singing and Music When Muslims
(1_ 4 H / 7 - 10 D)

Abstract:

Singing is one of the most important branches of art, which is one of the most prominent features of human civilization, the Muslims excelled in it, and set rules and regulations, and made an amendment to weight, and were able to improve the melody, and the development of tools and means of rapture, and the study included the problematic legitimacy of singing, in the Islamic society, both ancient and modern. The research dealt with the reality of singing and the conditions of singers in the councils of the people, established by the caliphs and state officials, the singing councils where the public met, as well as the assemblies and the singers. This is generally taken as an indicator of the level of social behavior.

Keywords: Singing ; Music ; The Society ; The Art ; The Money.

الملخص:

يعتبر الغناء أحد أهم فروع الفن، الذي يعد من معالم الحضارة الإنسانية؛ وقد برع المسلمون فيه، ووضعوا له النظم والقواعد، وأحدثوا تعديلا على الوزن، وتمكنوا من تحسين اللحن، وتطوير أدوات ووسائل الطرب؛ والدراسة تضمنت إشكالية مشروعية الغناء، التي أثارت جدلا واسعا في المجتمع الإسلامي قديما وحديثا؛ وقد تناول البحث واقع الغناء وأحوال المغنين في مجالس الأنس، التي أقامها الخلفاء ورجال الدولة، ومجالس الغناء التي كان يجتمع فيها

العامة، وكذلك مجالس الأعيان والمغنين؛ وهذا إجمالا يؤخذ كمؤشر يقاس به مستوى السلوك الاجتماعي في صدر الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الغناء؛ الموسيقى؛ المجتمع؛ الفن؛ المال.

مقدمة:

يعتبر الغناء أحد المعالم المشرقة في تاريخ الحضارة الإنسانية؛ ويعد من أهم فروع الفن، التي برع فيها المسلمون، وأحدثوا تطورا جذريا، اتضحت معالمه من خلال إدخال قوانين ونظم ساهمت في تحسين اللحن والقافية وتعديل الوزن؛ ونجم عن ذلك، تعدد أصناف الغناء؛ ولا نبالغ إذا اعتبرنا أن المسلمين جددوا الغناء، ووضعوا له القواعد والأسس؛ ولم يتوقف جهدهم على هذا، بل اجتهدوا في تحسين وتطوير أدوات الطرب.

وقد عرف العالم خلال العصور الوسطى، نهضة علمية على أيدي المسلمين، نالت الفنون حظها من هذه النهضة؛ وتعد الفترة الإسلامية نقطة تحول جذري في تاريخ الغناء؛ وقد ساهم العديد من روادها في ازدهار الحركة الإنسانية، ويرعوا في تحديث أساليب الغناء وآلات الطرب؛ وظل إسهامهم فخرا للمسلمين؛ والأكيد أن أثرهم لم يتوقف عند الثقافة الإسلامية، بل كان له الأثر العميق على الحضارة البشرية برمتها.

الجدير بالذكر، أن الغناء يعتبر أحد المسائل الهامة، التي أثارت جدلا حادا بين علماء الأمة قديما، وما يزال الاختلاف في تحريمه وشرعية إباحته واقعا في عصرنا هذا؛ والجدل لم يبق محصورا بين الفقهاء، بل امتد إلى عامة المسلمين، وانقسم المجتمع بدوره حول هذه المسألة. ومن هذا المنطلق، يجد الباحث بين يديه موضوع جدير بالبحث والدراسة.

بناءً على ذلك، تتضح أسباب اختيار الموضوع، التي تتجلى بوضوح من خلال الرغبة العلمية التي تدفع إلى التحري في كشف جانب مضيء من تاريخ الفنون الإسلامية، التي لم ترتبط فقط برقي الثقافة الإسلامية، بل أثرت أيضا على الثقافة الغربية؛ ولم يكن هذا وحده دافعا إلى اختيارنا لهذا الموضوع، إنما أيضا السعي إلى فهم نظرة المجتمع إلى الغناء في هذه الفترة؛ واتخاذه معيارا لتحديد

مستوى السلوك الاجتماعي، الذي وقع بين تأثير الدين من جهة، وتأثير النزعة الإنسانية من جهة أخرى.

استنادا على ما سبق، فإن الإشكال يتمحور حول شرعية الغناء، وأبعاده الحضارية؛ وللإجابة على الإشكال المطروح، لا بد من إثارة مجموعة من الأسئلة: ما هو الموقف الشرعي من مسألة إباحة الغناء ؟ وفيم يتجلى التطور الذي طرأ على الغناء وأحوال المغنين ؟ وما موقف المجتمع من مجالس الأنس ؟

الفرضيات المحتملة في الدراسة، أن تكون فتوى التحريم لها أثر بالغ في تعاطي المجتمع مع الغناء، وقد يتجاهل الناس المنظور الفقهي القطعي بالتحريم والتوجه إلى تبني فتوى الإباحة؛ بالإضافة إلى فرضية انقسام المجتمع حول الاستماع إلى الغناء، وانعكاس ذلك على مجالس الأنس ومستوى إقبال العامة عليها، وأثر ذلك على أوضاع المغنين؛ والأبعاد الحضارية للفن على الثقافة الإسلامية، التي بدورها لها تأثير واضح المعالم على مستوى الغناء والطرب في المجتمعات الغربية.

اعتمدنا في هذه الدراسة على السرد والوصف، وتطلب البحث الانتقال من التدقيق في الروايات التاريخية، والتحليل والتقصي عن أحوال المغنين إلى وضع تصور شامل لأحوال الغناء والمغنين، ونظرة المجتمع إلى إليهم خلال هذه الفترة؛ هذا فتح المجال لتحديد أهداف الدراسة، وأهمها:

1 - معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بمسألة إباحة وتحريم الغناء.
2 - كشف تاريخ بداية ظهور الغناء في المجتمع الإسلامي.
3 - التعرف على واقع الغناء وأحوال المغنين خلال هذه الفترة.
4 – فهم السلوك الاجتماعي المتأثر بتطور حركة الغناء والطرب.
5 - معرفة كيفية انتقال المعارف المتعلقة بالغناء وآلات الطرب من الأندلس إلى أوربا، ومدى تأثيرها على النهضة التي عرفتها الأوساط الفنية الأوربية.

الاختلاف حول إباحة الغناء:

الغناء من المسائل التي أثارت الجدل في المجتمع الإسلامي، وكانت وما زالت موضوع نقاش بين الفقهاء؛ وطبيعة موقف المجتمع

ارتبط بالتأثير القوي للمراجع الفقهية من جهة، والنزعة الإنسانية من جهة أخرى. من هنا نتساءل: أين يكمن الالتباس حول شرعية الغناء ؟

الاختلاف حول شرعية الغناء نابع من عدم وجود اتفاق قي وجوب منعه أو إباحته، وهذا يرجع إلى غياب نص صريح في القرآن الكريم يحسم الجدل القائم؛ فانقسم الفقهاء إلى فريقين، وقد استند الفريق الأول في حكمه بتحريم الغناء على تفسير عدد من الآيات القرآنية، والاستشهاد ببعض الأحاديث النبوية؛ ولا يمكن عرض كل الحجج والبراهين، التي استند عليها هؤلاء الفقهاء، فقد احتجوا بقوله تعالى : {وَمِنَ النَاسِ مَن يَشتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبيلِ اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ ويَتَخِذَهَا هُزُوًا أولئِكَ لَهُم عَذَابٌ مُهِينٌ}(سورة لقمان، الآية 6). وفي تفسير هذه الآية، قال الطبري (ت 310 هـ/ 923م)، أن المقصود بلهو الحديث: الغناء والشرك (الطبري، 1994: م 6، 122، 123)؛ كما ذكر القرطبي (ت 671 هـ/ 1272م)، أن المقصود بلهو الحديث الوارد في الآية: الغناء والمزامير؛ واستشهد في ذلك برأي عدد من كبار الصحابة، أمثال: عبد الله بن العباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله ابن مسعود رضي الله عنهم جميعا (القرطبي، 2006: ج 16، 456 ، 457).

تجدر الإشارة إلى أن من بين الآيات التي استندوا عليها، قوله تعالى:{واستَفزِز مَنِ استَطَعتَ منهُم بِصَوتِكَ وأَجلِب عَلَيهِم بِخَيلِكَ ورَجِلِكَ وشَارِكهُم في الأَموَالِ والأَولاَدِ وَعِدهُم ومَا يَعِدُهُم الشَّيطَانُ إلاَّ غُرُوراً}(سورة الإسراء، الآية 64). قال الطبري، المقصود هنا بالصوت الوارد في الآية: صوت الغناء واللعب (الطبري، 1994: م 5، 46)؛ وأيد القرطبي هذا الرأي واعتبر أنه يندرج ضمن معنى الغناء والمزامير واللهو (القرطبي، 2006: ج 13، 118)؛ وهذا ما ذهب إليه ابن كثير (ت 774 هـ/ 1373م)، حين اعتبر أن المقصود في الآية الغناء (ابن كثير، 1999: ج 5، 93).

وفي السياق ذاته، عرض ابن قيم الجوزية (ت 751 هـ/ 1351م)، مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآثار بعض الصحابة، تصب في التحريض على طاعة الله ورسوله، وذم اتباع الأهواء؛ وبناءً على ذلك، أصدر حكمه القطعي بعدم جواز الغناء

والموسيقى، وهاجم من تبنى حكم إباحة الغناء من قبل بعض علماء المسلمين، واعتبرهم أحدثوا منكرا في الدين (ابن قيم الجوزية، 2011: 10 – 21). والجدير بالذكر، أن من بين الأحاديث النبوية التي استشهدوا بها، قوله صلى الله عليه وسلم:(لَيَكُونَنَّ مِن أُمَتي أَقوَامٌ يَستَحِلُونَ الحَرَ والحَريرَ والخَمرَ والمَعَازفَ) (البخاري، 2002: 1421). وقوله عليه السلام :(لاَ تَبيعُوا القَيِنَات وَلاَ تَشتَرُوهُنَ، وَلاَ تُعَلمُوهُنَّ، وَلاَ خَيرَ في تجَارَةٍ فِيهِنَّ، وَثَمَنَهُنَّ حَرَامٌ) (الترمذي، 1996: م 2، 558). رغم ذكر الترمذي (ت 279 هـ/ 892م) هذا الحديث، إلا أنه أشار إلى أن بعض المحدثين اعتبروه من الأحاديث الضعيفة (الترمذي، 1996: م 2، 559).

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم:(لَيَشرَبَنَّ نَاسٌ مِن أُمَتِي الخَمرَ وَيُسَمُونَهَا بِغَيرِ اسمِهَا، يُعزَفُ عَلَى رُؤُوسِهِم بالمَعَازِفِ وَالمُغَنيَاتِ، يَخسِفُ اللهَ بِهِم الأَرضَ، وَيَجعَلُ مِنهُم القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ) (ابن تيمية مجد الدين، 1995: 797). وقال أيضا عليه السلام:(في هَذِه الأُمَة خَسفٌ وَمَسخٌ وَقَذفٌ. فقال رَجُلٌ مِنَ المُسلِمِينَ: يا رَسُولَ اللهِ، مَتَى ذَلِكَ ؟ قال: إِذَا ظَهَرَت القَينَاتُ وَالمَعَازِفُ) (ابن تيمية، 1995: 798).

وقد أصدر العديد من الصحابة حكما بتحريم الغناء، ومن ذلك قول عبد الله بن مسعود : << الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع >> (ابن قيم الجوزية، 2011: 20). ولابد من ذكر أقوال بعض الحكماء في الغناء، ومن ذلك قولهم :<< يُنفر القلوب، ويستفز العقول، ويستخف الحليم، ويبعث على اللهو، ويحض على الطرب، وهو باطل في أصله >> (الإبشيهي، 2008: 554؛ ابن عبد ربه، 2009: م 6، 10، 11).

أما فيما يتعلق بالفريق الثاني من الفقهاء، الذين رأوا أن لا حرج في إباحة الغناء؛ فمنهم من أجازه على شرط عدم الإلهاء عن أداء الصلوات المفروضة في وقتها، ودفع المرء إلى الكسل والامتناع عن القيام بالفروض والواجبات الدينية والدنيوية (محمد عمارة، 1999: 4، 5)؛ وفي هذا السياق أفتى ابن حزم الأندلسي (ت 456 هـ/ 1063م) بالإباحة مع الكراهية، بقوله : << ... فصح أنه مباح، وأن

تركه أفضل، كسائر فضل الدنيا المباحة، ولا فرق >> (ابن حزم، 1987: ج 1، 437).

تجدر الإشارة إلى وجود عدد من الروايات والأحاديث النبوية، التي توحي بجواز الغناء في الأعراس، ومن ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه: << أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أهديتم الفتاة ؟ قالوا: نعم. قال: أرسلتم معها من يغني ؟ قالت: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول: <<أَتَيْنَاكُم أَتَيْنَاكُم فَحَيَّانَا وحَيَاكُم >> (ابن تيمية، 1995: 619).

وهناك من الحكماء من استحسن الغناء، ورأى فيه فوائد، ومن ذلك قولهم: << أن الصوت الحسن يسري في الجسم، ويجري في العروق، فيصفو له الدم، ويرتاح له القلب، وتهش له النفس، وتهتز الجوارح، وتخف الحركات >> (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 6)؛ وقولهم أيضا: << والله إن جليسه عشرته لأطيب من الإبل على الحُداء، والنحل على الغناء >> (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 7).

الالتباس الواقع حول هذه المسألة أدى بدوره إلى انقسام المجتمع؛ فنجد معظم أهل الحجاز أجازوا الغناء، في حين رأى معظم أهل العراق منعه وتحريمه؛ إلا أن هذا لا يعني أن هناك موقفا موحدا في هذه الأقطار والبلدان حول منع أو إباحة الغناء؛ ونذكر في هذا السياق رواية أشارت إلى تولي عثمان بن حيّان المري ولاية المدينة المنورة (93 – 96 هـ/ 711 – 714 م)، فطلب منه أعيان وأشراف المدينة منع الغناء – وكان يؤمن بتحريم الغناء – فمنح سكان المدينة مهلة ثلاثة أيام للامتناع عن سماع الغناء (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 52). وفي رواية أخرى، أمر الوالي أبو قيس عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري (101- 104هـ/ 719- 722م) بنفي المغنين من المدينة، فدخل عليه في مجلسه كل من: ابن سريج، والغريض، ومعبد. غنى الثلاثة، فاستحسن ذلك وطرب، وعفى عنهم (الأصفهاني، 1928: ج2، 363).

وتضمنت رواية أخرى، إقدام محمد بن إبراهيم والي مكة (ت 120 هـ/ 738 م)، على طلب استشارة كلا من ابن جريح (ت 150

هـ/ 767 م)، وعمرو بن عبيد (ت 144هـ/ 761م)، في حكم الغناء وإباحته للناس؛ فأجاب ابن جريح بالإباحة، واستند في ذلك إلى إحياء المغني ابن سُريج (توفي في عهد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد)، حفل ختان ولد عطاء بن أبي ربّاح (ت 85 هـ/ 732 م) (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 12).

وفي رواية أخرى سأل الخليفة هارون الرشيد (170- 193هـ/ 786- 809م)، الفقيه إبراهيم بن سعد الزهري (ت 185هـ/ 801م)، عن إباحة الغناء في المدينة المنورة، واستنكر ذلك، واحتج الخليفة هارون برأي الإمام مالك (ت 179هـ/ 795م)؛ إلا أن الإمام الزهري فنَّد ذلك، وأنكر أن يكون للإمام مالك رأيا في تحريم الغناء، واستند في ذلك، بما أخبره به أبوه من أن الإمام مالك سمع غناءً في عرس ابن حنظلة الغسين، فمكث ولم يعارض (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 13).

وأفادت إحدى الروايات بوقوع خلاف حاد بين الفقيه أبي يوسف يعقوب (ت 182هـ/ 798م) قاضي العراق، والفقيه إبراهيم بن سعد الزهري، بسبب استخفاف القاضي يعقوب بأهل المدينة، واستنكاره حبهم للغناء وإقبالهم عليه؛ هذا أثار غضب الإمام الزهري، الذي رد عليه، قائلا:<< قاتلكم الله يا أهل العراق! ما أوضح جهلكم، وأبعد في السُداد رأيكُم ! متى رأيتُ أحدا سمع الغناء فظهر منه ما يظهر في سفهائكم هؤلاء الذين يشربون المُسكر، فيترك أحدهم صلاته، ويطلق امرأته، ويقذف المحصنة من جارته، ويكفر بربه ! فأين هذا من هذا ؟ >> (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 12). رغم موقف القاضي يعقوب، إلا أن رواية أخرى تفيد بحضور القاضي أبي يوسف يعقوب مجالس هارون الرشيد وفيها غناء وطرب (الإبشيهي، 2008: 552).

نعتقد بإباحة الغناء على شروط معلومة، فإن تجاوزها صار في حكم التحريم؛ وفي نظرنا هذه الشروط تتضمن: أولا، طبيعة الكلام ومعناه، الذي لا يصح أن يخرج عن ما أباحه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ ثانيا، اقتصار أدوات الطرب على الدُف فقط؛ ثالثا، أن يقتصر الغناء والطرب على احتفالات الأعراس؛ رابعا، عدم الاختلاط بين الجنسين الرجال والنساء؛ خامسا، أن لا يخرج آداب المجلس عن

ضوابط الشريعة الإسلامية. وهذا الرأي نابع من الاستناد على عدة روايات، نذكر منها:

رواية أشارت إلى عبد الله بن عمر (ت 73هـ/ 693م)، حين دخل على ابن محرز (ت 140هـ/ 737م)، ووجده يغني ويلحن شعرا، فلما سمع الكلام ومعانيه، أثنى عليه. وفي رواية أخرى، دخل عبد الله بن عمر على عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ت 80هـ/ 700م)، وفي مجلسه جارية بيدها آلة عود، فغضب واستنكر عليه ذلك؛ فلما رأى عبد الله بن جعفر ذلك، أمر الجارية بالغناء، وحين سمع عبد الله كلمات الشعر، وأيقن أنها لا تخرج عن سياق ما تبيحه الشريعة الإسلامية، استحسن ذلك (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 13). ونعتقد أن الإبشيهي أصاب حين رأى أن الغناء لو كان محرما في مجالس الأعراس والولائم وحفلات العقيقة وغيرها، لما أنشدت النساء بالألحان وضرب الدُّف عند قدوم النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة ولم ينكر عليهم ذلك (الإبشيهي، 2008: 553).

بالإضافة إلى رواية أخرى، أفادت باستنكار الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41- 61هـ/ 661- 681م)، لما بلغه استماع عبد الله بن جعفر للغناء – حين كان في موسم الحج بمكة – فلما بلغ الخبر إلى عبد الله بن جعفر، استضافه في داره، وأمر الجارية بالغناء؛ فاستمع معاوية، ثم قال:<< لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان >>. ومعنى ذلك أن معاوية لم يجد في غناء الشعر ما يوجب تحريمه، وهنا الأمر توقف على معنى الكلمات وآداب المجلس، الذي لم يخرج عن أخلاق الإسلام وفضائله. وفي رواية أخرى حضر معاوية مجلسا لعبد الله بن جعفر فيه المغني بديح، فسمع وطرب، وأعطى جميع الحاضرين في المجلس مالا وكسوة (الإبشيهي، 2008: 555؛ ابن عبد ربه، 2009: م 6، 19، 20).

ونستند إلى عدد من الأحاديث النبوية، نذكر منها، قوله عليه السلام:(فَصلُ ما بَينَ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ الدُف وَالصَوت). وقوله صلى الله عليه وسلم:(أَعلِنُوا هَذَا النِكَاح واجعَلُوهُ في المَسَاجِدِ، وَاضرِبُوا عَلَيهِ الدُفُوفَ) (الترمذي، 1996: م 2، 384). وهنا رخصة إباحة الغناء في الأعراس؛ ومن ذلك أيضا رواية جاء فيها، أن عامر بن سعد

البجلي، قال:<< كان أبو مسعود البدري وقرظة بن كعب وثابت بن زيد في العريش، وعندهم غناء، فقلت: هذا وأنتم أصحاب رسول الله ؟ ! فقالوا: إنه رخص لنا في الغناء في العرس، والبكاء على الميت في غير نوح >> (ابن حزم الأندلسي، 1987: ج 1، 437، 438)؛ كما أن تحريم آلات الطرب يتضح من قوله صلى الله عليه وسلم:(إنَّ اللهَ حَرَمَ عَلَى أُمَتي: الخَمرَ، وَالمَيسرَ، وَالمَزَر، والكُوبَة، والقَنينَ). الكُوبَة تعني البرباط؛ والقنين يعني الطنبور (ابن تيمية، 1995: 798).

خلاصة القول، أن هناك اختلافا حادا بين فقهاء الأمة حول مسألة الغناء، وانعكس ذلك بدوره على المجتمع، الذي تباين موقفه بين الرفض والقبول.

بداية ظهور الغناء في صدر الإسلام:

الالتباس الذي وقع في حكم تحريم الغناء، أتاح لشرائح واسعة من المجتمع الاستمتاع إلى الغناء، ولم يجد هؤلاء حرجا في إقبالهم عليه. هذا يدفعنا كذلك للنظر في واقع الغناء والطرب خلال العصر الجاهلي، لتتبع مسار التطور الذي عرفه المجتمع خلال انتقاله من الجاهلية إلى الإسلام؛ لهذا يمكن تقدير مدى قابلية المسلمين للغناء والطرب في ظل الاختلاف الفقهي حول إباحته. من هنا نتساءل:

ما مدى انتشار الغناء وآلات الطرب في جزيرة العرب خلال العصر الجاهلي ؟ متى ظهر الغناء في المجتمع الإسلامي ؟ وما طبيعته ؟

ليس بالإمكان التطرق إلى مسألة الغناء في هذه الفترة، دون معرفة واقع الغناء والطرب في العصر الجاهلي، وقابلية المجتمع لهذا النوع من الفنون. وهذا يجعل المهتمين بحقيقة تعاطي المسلمين للغناء وآلات الطرب، يتعرفون على مدى التغير الذي طرأ في المجتمع الإسلامي خلال هذه الفترة. من هنا تجدر الإشارة إلى أن الغناء في المجتمع خلال العصر الجاهلي، كان على ثلاثة أوجه: النَّصب، وهو غناء الفتيان والركبان، ويسمى كذلك الغناء الجنابي نسبة إلى الرجل الذي وضعه، وهو جناب بن عبد الله من قبيلة كلب؛ ويعد النصب أصل غناء الحداء الأكثر انتشارا ببلاد العرب، وهذا النوع هو الطويل في العروض. أما السّناد، هو الغناء الثقيل ذو الترجيع كثير النغمات.

أما الوجه الثالث، فهو الهزج، خفيف الغناء، يستخدم فيه الدّف والمزمار، فيطرب الناس ويرقصون عليه، ويستخف الحليم (ابن رشيق، 1981: ج2، 314؛ الأبشيهي، 2008: 556).

وقد أفادت الروايات بانتشار الغناء مصحوبا بآلات الطرب في الكثير من أمصار جزيرة العرب في العصر الجاهلي، نذكر منها: الطائف، خيبر، يثرب، فدك، وادي القرى، دومة الجندل، اليمامة. والأمر المثير للاهتمام أن هذه الأمصار تحتوي أهم أسواق العرب، التي استهوت الشعراء والمغنين (الأبشيهي، 2008: 556). ويبدو أن الغناء في بداياته اختصت به الإماء، وأول من غنى ولحن جاريتان لمعاوية بن بكر من قبيلة عاد، وهم من العرب البائدة، وكانتا تلقبان بالجرادتين (قسطندي رزق، د ت: 37).

الجدير بالذكر، أن هناك بعض أشراف العرب في الجاهلية من امتهن الغناء واستعمال آلات الطرب كضرب العود، أمثال: النضر بن الحارث بن كلدة؛ الحكم بن أبي العاص؛ حريث بن عمرو؛ أبو عمرو بن حريث؛ قيس الفهري أبو الضحاك بن قيس؛ معمر بن عثمان؛ سيرين أبو محمد بن سيرين (الدّينوري، 2003: 319)

تجدر الإشارة إلى أن هناك نوعين من الغناء انتشرا في بلاد الحجاز، وهما: الحداء النصب، والنوح. وكان لحن غناء الحداء موزونا تبعا للعروض، إلا أنه لم يصل من التطور إلى حد الإيقاع. ثم أقدم النضر بن الحارث على إدخال أنواع جديدة، جلبها من البلدان التي زارها في بداية القرن السابع الميلادي، وقد جلب معه من الحيرة آلة العود ذات التجويف الخشبي، التي حلت محل آلة المزهر (هنري جورج، 2010: 24، 63).

الجدير بالاهتمام، أن هناك الكثير من آلات الطرب كانت شائعة الاستخدام في الحجاز وباقي أقطار جزيرة العرب، نذكر منها: المزهر، وهو آلة ذات تجويف جلدي؛ المزمار، وهو الناي الطويل؛ الدّف المربع؛ الصنوج الصغيرة؛ الطبل؛ القضيب، الذي كان الأكثر انتشارا؛ البوق؛ العود؛ الطنبور؛ المعزفة؛ الكران؛ المُوَتّر؛ الجلاجل؛ الناقوس (هنري جورج، 2010: 10، 11، 12، 14، 15، 60، 61).

لم يكن الغناء حالة غريبة طارئة على المجتمع الإسلامي؛ بل عرف العرب الغناء منذ العصر الجاهلي، وبرع فيه الكثير من أشراف قريش، أمثال: النضر بن حارث بن كلدة، وحريث بن عمرو، والحكم بن أبي العاص، ومعمر بن عثمان، وسيرين بن سيرين (الدّينوري مسلم بن قتيبة، 2003: 319).

حسب بعض الروايات، يعتبر طويس (ت 92هـ/ 711م) أول من غنى في الإسلام، وأتقن غناء الهزج والرّمل على عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23- 35هـ/ 643- 655م)، وهو من المخنثين، كان يغني في الأعراس. ويعد المدرسة الأولى في الغناء، وقد تعلم على يديه الرعيل الأول من المغنين، أمثال: ابن سُريج، ونومة الضحى، والدّلال، الذين بدورهم تتلمذ على يديهم كل من ذاع صيته في الفترة الأموية (الأصفهاني، 1950: ج4، 219، 221؛ الأبشيهي، 2008: 557؛ ابن عبد ربه، 2009: م 6، 30).

لكن بالإمكان اعتبار أن بداية ظهور الغناء في الإسلام، تعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أجمعت العديد من الروايات والأحاديث النبوية على وجود جواري مغنيات؛ وهذا ما وثقته الأحاديث النبوية والروايات المتضاربة في مسألة تحريم الغناء (البخاري، 2002: 1421؛ الترمذي، 1996: م 2، 384، 558؛ ابن تيمية، 1995: 619، 797، 798).

تفيد العديد من الروايات، أن النهضة التي عرفها الغناء، وإدخال آلات الطرب إلى جزيرة العرب، كان بفضل الانفتاح على بلاد فارس والروم على إثر الفتوحات الإسلامية، التي استولى فيها المسلمون على أرض العراق والشام وفارس وغيرها من البلاد المفتوحة. وقد نقل ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ/ 1064م) عن إسحاق أن الغناء عند العرب، كان بسيطا يقتصر على غناء الحداء، ولم تستعمل فيه آلات طرب، واستمر على ذلك حتى ظهر الإسلام، واستولى المسلمون على بلاد العراق وفارس والروم، فجلبوا منها الغناء الرقيق، وأدخل الغناء الفارسي والرومي على الغناء العربي، واستخدمت فيه آلات الطرب كالعود والطنبور والمعازف والمزامير (ابن رشيق، 1981: 314).

وأفادت إحدى الروايات أن أول من ضرب العود في الغناء العربي، المغني عبيد بن سريج. وكان سبب ذلك، أنه سمع العجم الذين جلبهم عبد الله بن الزبير (64- 73هـ/ 684- 693م) لبناء الكعبة، يغنون بضرب العود، وقد أطربوا سكان مكة، ، فأخذ عنهم العود وأحسن استعماله. فكان ابن سريج أول من غنى بضرب العود على عهد بني أمية (الأصفهاني، 1952: ج1، 250). نعتقد أنه لابد من التعامل بحذر مع هذه الروايات، ففي هذا السياق أفادت إحدى الروايات أن الحارث بن كلدة، الذي كان من المخضرمين، وهو أحد أشهر الأطباء، كان يحترف ضرب العود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (صاعد الأندلسي، 1998: 63).

بناءً على ذلك، فإن المتتبع لمسار حركة الغناء والطرب، يكتشف بوضوح أن هذا الاعتقاد الذي ورد في الروايات المذكورة بعيد عن الصحة. وفي حقيقة الأمر كان هناك انقطاع في استخدام آلات الطرب باستثناء الدُّف، وقد ذكرنا سابقا استخدام العرب في الجاهلية لأنواع مختلفة من آلات الطرب، مما يدفعنا للاعتقاد أن هذا الانقطاع يعود إلى موقف الرعيل الأول من الصحابة بحرمتها، وأذعن المجتمع لهذه الرغبة المتأصلة في الأحاديث النبوية – التي ذكرناها سابقا – وقد ظهر ذلك بوضوح في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، فلم يستخدم إلا الدُّف أو القضيب كما دلت عليه بعض الروايات، أن المغني ابن سريج كان يغني باستخدام القضيب في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه، قبل استخدامه آلة العود على عهد بني أمية (الأصفهاني، 1952: ج1، 249، 250).

الجدير بالذكر، أن هنري جورج في خضم دراسته لتاريخ الموسيقى العربية، اعتبر أن الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (35- 40هـ/ 656- 661م) كان يحب الأدب ومختلف أصناف العلوم، ومن بينها الغناء والطرب، وأبدى اهتماما بهما وشملهما برعايته (هنري جورج، 2010: 56). إلا أن هذه الرؤية خاطئة تماما، وتنم عن عدم دراية حقيقية بشخصية الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي لم يخرج عن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعا. وبين أيدينا عدد من

الشواهد والقرائن التي تبطل هذا القول، نذكر من ضمنها أن هنري جورج، لم يعتمد في رؤيته على مصادر السير والتراجم أو مصادر عربية وإسلامية تطرقت لسيرة الصحابي الجليل، فكان مرجعه في ذلك سوى ما نقله عن المؤرخ سلفادور دانيال. ومن جهة أخرى ، أفادت الروايات المتعلقة بسيرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه استنكر واستاء من معاوية بن أبي سفيان، وعنَّفه حين علم أنه امتلك جواري مغنيات، بالإضافة إلى غضبه الشديد على ابنه الحسن، ومنعه إياه من رؤية المغنية الحبشية والاستمتاع بغنائها. قال له: << إنها قرين الشيطان >>. (الهجويري، 2007: ج2، 659)

تجدر الإشارة إلى تطور الغناء بظهور ما يعرف بالغناء المتقن أواخر عهد الخلافة الراشدة، وقد تميز هذا النوع بإيقاع غنائي مستقل عن عروض الشعر. وتعد بلاد الحجاز مهد ظهور هذا النوع من الغناء العربي (هنري جورج، 2010: 64). الجدير بالذكر، أن أصل الغناء في صدر الإسلام، كما ورد في بعض الروايات، يعود إلى أربعة مغنين، هم: ابن سُريج ومُحرز من مكة. معبد ومالك من المدينة المنورة (الأصفهاني، 1952: ج1، 251)

الجدير بالاهتمام، ما أشارت إليه بعض الروايات إلى امتلاك بعض الأنصار جواري يحترفن الغناء، ومن أشهر هؤلاء المغنيات، نذكر: حمامة، وزينب (طلس محمد أسعد، 1983: 167)؛ وكانت شرين إحدى أشهر الجواري المغنيات، امتلكها حسان بن ثابت (الهجويري، 2007: 658). وفي هذا السياق، أفادت إحدى الروايات بحضور حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وليمة عند رجل من الأنصار، وبعد الانتهاء من أكل الطعام، استدعى الأنصاري مغنية من جواريه، فغنت بشعر حسان بن ثابت (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 8).

إلا أنه لابد من التعامل بحذر مع هذه الروايات؛ ففي الوقت الذي أفادت به بعضها باستحسان عدد من كبار الصحابة الغناء، وأشارت إلى أن بعضهم كان يغني شعرا في خلوته، أمثال: عاصم بن عمر، وعبد الله بن عمر، والبراء بن مالك، وسعد بن أبي وقاص (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 10)؛ نجد على النقيض من ذلك، تضمنت

روايات أخرى أحكاما قطعية في تحريم الغناء، صدرت عن كبار الصحابة المذكورين، مثل: عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ ومن الشواهد التاريخية المناقضة للرواية السابقة، إقدام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بتأنيب المغني قند وضربه، حين سمعه يغني (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 36).

إذا سلمنا بحقيقة وجود مجالس غناء، كانت تُعقد في احتفالات الأعراس والختان، وبعضها في مجالس الضيافة، بالإضافة إلى بعض الرعاة والمزارعين الذين كانوا يغنون في خلوتهم أو أثناء مزاولة أعمالهم؛ إلا أننا نعتقد إقدامهم على استخدام الدُف فقط من أدوات الطرب خلال هذا العهد، رغم ما أشارت إليه عدد من الروايات إلى استخدام بعض الرعاة المزمار في البادية (ابن تيمية، 1995: 797).

خلاصة القول، الغناء كان حقيقة واقعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن اقتصر على الجواري المغنيات في أوساط النساء؛ فكان بذلك طُويس أول رجل يغني في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ واقتصرت أدوات الطرب على استخدام الدُف فقط.

الغناء وأحوال المغنين في العهد الأموي:

بالإمكان اعتبار أن المجتمع في العهد الأموي عرف تغيرا عما كان عليه في عهد الخلافة الراشدة، بحكم التطورات الحاصلة على كافة الأصعدة، وامتزاج ثقافة البلدان المفتوحة مع ثقافة الإسلام الأصيلة. من هنا نتساءل:

فيم تجلى التطور الحاصل في مجال الغناء ؟ وكيف كان حال المغنين في هذه الفترة ؟

اتخذ الغناء مسارا جديدا في العهد الأموي، وتشكل بوضوح إيقاعه وأوزانه، وتميزت كل منطقة بطبوعها وإيقاعاتها عن باقي المناطق الأخرى؛ ونكتشف من قراءة النصوص التاريخية أن الإيقاع الغنائي الثقيل كان سائدا في بلاد الحجاز، في حين عُرف أهل العراق بالإيقاع الوسط، أما بلاد فارس ساد فيها الإيقاع الغنائي الخفيف (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 38؛ الطبري، 1994: م 4، 668)؛ وفي الوقت ذاته، اختلف الطبع الغنائي المدني عن الطبع الغنائي المكي (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 54، 55).

وقد برع في الغناء الكثير من المغنين، كان أشهرهم: ابن سُريج، ونومة الضحى، والدّلال، الذين تتلمذوا على يدي المغني طويس؛ وأخذ عنهم العديد من المغنين، أشهرهم سلم الخاسر (ت 186هـ/ 802م)، ولقب بذلك لبيعه مصحفا اشترى بثمنه طنبورا؛ وقد تعلم على يدي الرعيل الأول من المغنين، كل من: معبد (ت 126هـ/ 743م)، وابن عائشة (توفي في عهد الخليفة الوليد بن يزيد)، وابن صياد، والأحوص، والغريض (ت 95هـ/ 714م)، ومعاذ، الذين يعتبرون الرعيل الثاني من مشاهير المغنين، أحيوا مجالس الخلفاء والوجهاء والعامة (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 19، 20، 22، 26، 27، 30، 31).

لابد من الإشارة إلى المغني سعيد بن مسجع (ت 96هـ/ 715م) الذي تألق وسطع نجمه في العهد الأموي، فقد نسبت إليه الروايات ابتكار قواعد اللحن والإيقاع في العزف، والذي اصطلح على تسميته بالغناء المتقن، الذي تطور وازدهر في عهد بني أمية. وقد اعتبر أول من نقل غناء الفرس إلى العرب، فأخذ اللحن عن الفرس وأدخله على الشعر العربي، بالإضافة إلى كونه أول من قام بترتيب أوتار العود، حين وضع الوتر الحاد في الأسفل، والوتر الغليظ في الأعلى، كما اعتبر في بعض الروايات أول من استخدم آلة طرب في العهد الأموي. ويعد هو الآخر مدرسة غنائية، تتلمذ على يديه كل من: معبد، وابن مُحرز، وابن سُريج، والغريض (ليلى فياض، 1992: 9،10). إلا أننا نتحفظ على كونه أول من استخدم آلة طرب في عهد بني أمية، فقد ذكرنا سابقا أن الروايات أشارت إلى أن أول من ضرب العود المغني ابن سُريج في عهد بني أمية، حين رأى حُسن استخدام العجم آلة العود في مكة، فأخذه عنهم وأحسن استعماله (الأصفهاني، 1952: ج1، 250)

يبدو حسب ما ورد عند الأصفهاني، أن الحجاز كان متفوقا في الغناء والطرب عن باقي الأقطار والولايات، واستأثر بمشاهير المغنين. فكان مقصدا لتعلم الغناء واستخدام آلات الطرب، وموردا للجواري المغنيات، وفيه تعقد أشهر مجالس الأنس والحفلات (الأصفهاني، 1952: ج1، 51). إلا أن هذا لا يعني عدم انتشار الغناء

والطرب وازدهاره في باقي أقطار البلاد الإسلامية، فقد شهدت البصرة وبغداد وجود مغنين وجواري مغنيات احترفن الغناء واستعمال آلات الطرب، أمثال المغني العراقي حُنين الحيرى بن بَلوَع (الهجويري، 2007: ج2، 657، 658)

واشتهر في هذه الفترة كل من ابن أبي السمح الطائي (توفي في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور)، والحكم بن ميمون الملقب بحكم الوادي، مولى الخليفة الوليد بن عبد الملك (86- 96هـ/ 705- 715م)، وكذلك المغني الغزيل المكنى أبا كامل (توفي خلال النصف الأول من القرن 2هـ)، وابن طنبورة وأصله من اليمن؛ وقد أجمع أهل الطرب على أن ابن محرز الأحسن غناءً (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 31، 33). ونذكر أيضا، المغني فياج بن أبي العوراء، والمغني سياط، ونشيط، وعمر الوادي، وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق (قسطندي رزق، د ت: 39)، والمغني سائب خائر الذي استخدم القضيب في بادئ الأمر ثم انتقل لاستخدام آلة العود (هنري جورج، 2010: 60، 61)

كان سائب خائر يجيد التلحين، ويعتبر أول من غنى الغناء العربي الثقيل (قسطندي رزق، د ت: 38)، أما المغني مسلم بن مُحرز فهو فارسي الأصل، تتلمذ على يدي مشاهير المغنين، أمثال المغني مسجع، وتعلم استخدام آلات الطرب على يدي المغنية عزة الميلاء في المدينة المنورة. يعد ابن محرز أول من وضع إيقاعين، هما: الرمل، والزوج، ويعتبر أول من غنى بزوج من الشعر (ليلى فياض، 1992: 9)، كذلك المغني المشهور محمد بن عائشة، والمغني يونس الكاتب الذي تتلمذ على يدي أعلام مشاهير الغناء والطرب، أمثال: ابن سريج، وابن محرز، والغريض. يعد يونس الكاتب أول من ألف في الغناء واللحن (قسطندي رزق، د ت: 39). وهناك المغني سنده الخياط، والمغني سعيد بن مسعود الهذلي، الذي أخذ عن زوجته الغناء واللحن، الذي ورثته عن أبيها ابن سريج (الأصفهاني، 1952: ج1، 313، 319)

لم يقتصر الأمر على الرجال، بل برزت نساء كان لهنَّ مجالس غناء، كالمغنية عقيلة إحدى سيدات المدينة، التي امتلكت جواري

مغنيات (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 18، 26، 52)؛ والجدير بالذكر، أن الجواري كُنَّ الأبرع في الغناء وضرب العود، وأشهرهم: سلاّمة القس (ت 131هـ/ 748م)، جارية عبد الرحمن بن عبد الله الملقب بالقس، لكثرة عبادته وزهده في الدنيا، وقد تعلمت الغناء على يدي معبد وابن عائشة (ابن الأثير عز الدين، 1987: م 4، 369، 370)، بالإضافة إلى سلاّمة الزرقاء، وسعدة، وربيحة، اللواتي كُنَّ ملكا للمغني ابن رامين (الأصفهاني، 1994: ج 11، 247). كذلك المغنية عزة الميلاء، وسرين، وزرنب، وخولة الرباب، وسلمى، ورائقة، وجميلة (هنري جورج، 2010: 60؛ قسطندي رزق، د ت: 38)، وحبابة، ورقطاء الحبطيين، وصفراء العلقميين (الأصفهاني، 1952: ج1، 313، 316).

أفادت عدد من الروايات بإدخال آلات الطرب كالبرباط والطنبور وأبرزها آلة العود، ولم يبق الأمر محصورا على استخدام الدُف، كما كان عليه قبل العهد الأموي (الطبري،، د ت: م 4، 235)؛ ومن أشهر من برع في استخدام العود، نذكر: خالد صامة، وسلاّمة القس، ويعد سائب خائر – مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب – أول من استخدم العود، وأجاد الغناء في المدينة، واعتبره البعض أول من استعمل العود في صدر الإسلام (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 18، 50، 51).

وقد أبدى بعض خلفاء بني أمية اهتماما كبيرا بالغناء، وكان ذلك دافعا لكل من برع من المغنين في تحسين ألحانه ومهاراته في ضرب العود، طمعا في الانضمام إلى مجالس الأنس، والاستفادة من كرم وسخاء الخلفاء؛ إلا أن المتتبع لأخبار مجالس الغناء، يكتشف أن بداية ظهور هذه المجالس يرجع إلى عهد الخليفة يزيد بن معاوية (60- 64هـ/ 680- 683م)؛ وحسب القرائن المتوفرة بين يدينا، لا وجود لأي شواهد تاريخية تشير إلى إقامة الخليفة معاوية بن أبي سفيان مجالس غناء، ومن ذلك استنكاره على عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما، إقامة مجلس أنس فيه غناء (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 19).

بالإضافة إلى حادثة وقعت، لما استضاف عبد الله بن جعفر في قصره بدمشق، وسمعت زوجته عبد الله بن جعفر يغني، فاستنكرت عليه ذلك، واعتبرت أنه أحدث منكرا، وأبلغت الخليفة معاوية بذلك؛ وفي نظرنا أن تصرف زوجة الخليفة معاوية، ينم على كرهه للغناء، وعدم انشغاله به، وتقريب المغنين من مجلسه. هذا بالرغم من وجود رواية أفادت بحضور الخليفة معاوية مجلس أنس، عقده عبد الله بن جعفر وأحياه المغني بديح، فاستمتع الخليفة معاوية حتى أنه منح عشرة آلاف دينار، ومائة ثوب لعبد الله بن جعفر، ومنح ألف دينار وعشرة أثواب لكل من حضر في المجلس (الأبشيهي، 2008: 555، 556؛ ابن عبد ربه، 2009: م 6، 20)؛ وفي المقابل أشارت العديد من الروايات إلى إقدام الخليفة يزيد بن معاوية على إقامة مجالس أنس ضمت أشهر المغنين، مثل: سائب خائر (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 51).

كان الخلفاء يعقدون مجالس الأنس، التي جمعت أشهر نجوم الغناء، أمثال: معبد، والغزيل الدمشقي، وابن عائشة، ومالك بن أبي السمح؛ وكان خالد صامة يحي الغناء بضرب العود (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 39، 50)؛ ولم يكتف الخليفة يزيد بن عبد الملك (101- 105هـ/ 720- 724م) بهؤلاء المغنين، بل كان الأحب إلى قلبه الجواري المغنيات، وفي مقدمتهم حبابة (ت 64هـ/ 724م)، وسلاّمة القس؛ وقد وقع في حب حبابة، واسمها " العالية "، نظرا لجمالها وحسن غنائها، حتى أنه حزن عليها وبكى يوم وفاتها، وانعزل عن الناس ثلاثة أيام (ابن الأثير، 1987: ج 4، 368).

استطاع هؤلاء جمع ثروة من إحياء مجالس الأنس؛ وقد دلت الشواهد التاريخية على كثرة العطايا، التي منحها خلفاء بني أمية للمغنين، ومنهم الخليفة الوليد بن عبد الملك، الذي كان يصحب معه جواريه المغنيات، وفي أحد الأيام أقبل عليه المغني المشهور هاشم بن سليمان، وهو في متنزه له قرب بحيرة طبرية، فأمر له بثلاثين ألف درهم (الأبشيهي، 2008: 560). ومنهم أيضا الخليفة هشام بن عبد الملك (105- 125هـ/ 724- 743م)، الذي قسم الأموال وأهدى الجوائز إلى الشعراء والمغنين (الأصفهاني، 1994: ج 11، 197)

ولم تكن مجالس الأنس حكرا على الخلفاء، بل أفادت بعض الروايات إلى إقبال الأمراء والولاة على الاستماع للغناء، وتقريب الشعراء والمغنين، وامتلاك الجواري المغنيات، ومن هؤلاء نذكر الأمير الأموي بشر بن مروان (ت 109هـ/ 728م)، الذي كان واليا على العراق في عهد أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان (65- 86هـ/ 685- 705م)، وكان الغناء أحب شيء إلى قلبه، وله جارية في مجلسه تحسن الغناء والعود (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 15؛ الأصفهاني، 1994: ج 11، 180).

لم يكن هذا دوما حال المغنين، بل عاشوا فترة حرجة بسبب إبعادهم عن مجالس الأنس والتضييق عليهم، ولم يكن لهم مخرجا إلا التوجه إلى مجالس العامة؛ وقد تفاقمت معاناتهم في عهد الخليفة عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه (99- 101هـ/ 717- 720م) الذي منع مجالس الأنس، وقطع الأموال والعطايا التي كانت تنفق على الندماء؛ وهذا نابع من اعتقاده الراسخ أن ما في خزينة الدولة هو ملك للمسلمين، وما كان ينفق منه على الندماء وغيرهم يعتبر ظلما وتعديا، وإنفاقه في غير حق (ابن الأثير، 1987: ج 4، 327، 330).

يبدو أن معاناة المغنين، لم تقتصر على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، ونذكر من ذلك مصير المغني سنان، الذي كان أقرب المغنين إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك (96- 99هـ/ 715- 717م)، يأخذه معه أينما ذهب؛ وكان الخليفة سليمان معروفا بشدة غيرته على نسائه، ويكُنُّ حُبا عظيما لجاريته الدّلفاء؛ وفي إحدى الليالي قام سنان يغني، وسمعته الدّلفاء فخرجت إلى الفناء، ولما تفطن سليمان للأمر، أصدر قرارا يقضي بحرمان سنان من الغناء طيلة حياته (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 70، 71)؛ كما أن الخليفة سليمان سمع يوما رجلا يغني، فأمر صاحب الشرطة بقطع قضيبه وخصيتيه (الطبري، د ت: ج 4، 660).

ورغم أن الخليفة هشام بن عبد الملك اعتاد تقريب الشعراء والمغنين، إلا أن بعض الروايات تشير إلى حرصه على تأديب المغنين ومنع شرب الخمر خاصة في أوساط العامة، فقد أقبل في أحد الأيام على ضرب رجل وجده يغني ويشرب الخمر، وكسّر البرباط أو

الطنبور الذي كان بين يديه (الطبري، د ت: ج 4، 235)؛ بالإضافة إلى الموقف الصريح الذي اتخذه الخليفة يزيد بن الوليد الناقص (حكم 6أشهر في سنة: 126هـ/ 744م)، وقد تجلى ذلك بوضوح في قوله :<< يا بني أمية: إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخير، ويفعل ما يفعل المُسكر، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعيه الزنى >> (ابن كثير، 2006: ج 6، 625).

الجدير بالذكر، انتشار مجالس الأنس خاصة ببلاد الحجاز خلال هذه الفترة، نذكر من ذلك مجلس الأنس الذي أقامته المغنية عقيلة، وجمعت فيه جاريات يتقن الغناء وضرب العود، فكان يقصدها الأعيان والوجهاء وأشهر المغنين، أمثال: معبد، ومعاذ، وابن صياد، والأحوص، للاستمتاع والطرب (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 26).

وقد اشتهر الكثير من الأشراف والأعيان بعقدهم مجالس الأنس والحفلات ومجالس الضيافة. فغنى فيها أشهر المغنين، ومن ذلك مجالس عبد الله بن جعفر، التي غالبا ما كان يحييها مشاهير المغنين، أمثال: طويس، وسائب خائر، ونشيط، ونافع الخير، بُديح المليح، وقَند، وعزة الميلاء، وجميلة (هنري جورج، 2010: 62، 155). وكانت عائشة بنت طلحة (ت 110هـ/ 728م)، امرأة ذات نسب ومال، تعقد مجالس الحفلات والضيافة، ويحييها مشاهير المغنين، أمثال: المغنية عزة الميلاء والمغني الغريض وغيرهما (الأصفهاني، 1928: ج2، 378).

يبدو أنها لم تكن الوحيدة، بل كانت هناك سكينة بنت الحسين (ت 118هـ/ 736م)، وهي الأخرى امرأة ذات نسب ومال، عقدت الكثير من مجالس الضيافة والحفلات، حضرها العديد من المغنين، أمثال: معبد، وابن سريج، والغريض. بالإضافة إلى ذلك، كانت تقيم مجالس أنس خاصة بالنساء فقط، غنى فيها مغنون مشهورون، أمثال: المغني الغريض. وكان التنافس حادا بين المغنيين الغريض وابن سريج في مجالس سكينة بنت الحسين (الأصفهاني، 1928: ج2، 355، 356، 361، 365، 376). وذكرت إحدى الروايات أن سكينة بنت الحسين، عقدت مجلس أنس بحضور المغني معبد، والغريض،

وابن سريج، واستضافت المغني العراقي حُنين الحيرى بن بَلوَع، وسمحت لعامة الناس حضور المجلس، فسقط السقف ومات المغني حنين العراقي بسبب تدافع وازدحام الناس عليه (الأصفهاني، 1925: ج2، 355، 356)

وقد أقام المغني ابن رامين أشهر مجالس الأنس في المدينة، التي ضمت أفضل الجواري المغنيات، أمثال: سلاّمة الزرقاء، وسعدة، وربيحة؛ فكان مجلسه مقصدا للأعيان والعوام على حد سواء، ثم نقل مجلسه إلى مدينة الكوفة، فقصده الأشراف والأثرياء، أمثال: المغني محمد بن الأشعث الزهري، ومحمد بن سليمان، الذي اشترى منه المغنية سلاّمة الزرقاء (ابن الأثير، 1987: ج 4، 364)، وكذلك يحي ابن زياد الحارثي، وشراعة بن الزندَبُوذ، ومطيع بن إياس، وعون العبادي، وعبد الله بن العباس المفتون، وإسماعيل بن عمار (الأصفهاني، 1994: ج 11، 247)؛ كما أنشأت المغنية سلاّمة الزرقاء - التي كانت جارية فيما سبق - مجلسا للأنس والسمر في المدينة، فكان يأتي إليها الأشراف والأعيان، مثل: ابن أبي عتيق، للاستمتاع بما تجود به في الغناء والعود (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 52).

الأمر الجدير بالاهتمام أن الغناء غالبا ما كان سببا في وقوع المرء في الحب؛ فرغم ما اشتهر به عبد الرحمن بن عبد الله من عبادة وزهد حتى لقب بالقس، إلا أنه وقع في غرام سلاّمة بمجرد سماع صوتها، ولما أهداه إياها مالكها، لم يفارقها يوما حتى أباحت له بحبها، وأباح لها بحبه، وطلبت منه أن يقبلها، عندئذ فاق من غفوته، وقال :

<< إنَّ سَلاَّمَةَ التي أَفقَدَتنِي تَجَلُّدِي
لَو تَرَاهَا وعُودَها حِينَ يَبدُو وتَبتَدِي
لَحَرِيرٍ وللغَرِيضِ وللقَرمِ مَعبَدِ
خِلتُهُم بين عُودِها والدَّسَاتِينِ واليَدِ >> (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 18، 19)؛ وقد استخدم الغناء في عرض وتشهير التجارة، ونذكر في هذا السياق قصة التاجر العراقي، الذي لجأ إلى الشاعر ربيعة بن عامر الدّارمي (ت 90هـ/ 708م) من أجل أن يعينه في بيع الخُمر السود، وكان الدّارمي ترك العراق وسكن المدينة، واتبع

مسلك الزهاد واعتكف في المسجد، لكنه لبى الدعوة، ووضع شعرا، وطلب ممن يحسن الغناء من المغنين أن يجوبوا السوق بغناء الشعر، فلما سمعت النساء الغناء، أقبلن على التاجر، فباع جميع بضاعته (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 18).

خلاصة القول، عرف المجتمع انفتاحا على الفنون خاصة الغناء في العهد الأموي؛ ويمكن القول أنه أحدث قفزة نوعية بتطور مهارات المغنين، وإدخال آلات ساهمت في تحسين أداء الغناء.

الغناء وأحوال المغنين في العهد العباسي:

تميزت هذه الفترة بازدهار الحياة الثقافية والفكرية، وقد نال الغناء حظه من القفزة الحضارية، التي شهدها العالم الإسلامي في ظل الخلافة العباسية؛ وتقدمت مسيرة الغناء بفضل جهود مغنين مبدعين، واهتمام خلفاء بني العباس بدعم الحركة الثقافية والفنية. من هنا نتساءل:

فيم يتجلى التطور الذي طرأ على الغناء وأوضاع المغنين في ظل الخلافة العباسية ؟ وما موقف المجتمع من مجالس الغناء ؟

شهدت الحركة الثقافية تطورا نوعيا في صدر الدولة العباسية، بفضل دعم جهود العلماء، وفتح الباب على مصراعيه للفكر والثقافة الإغريقية والرومانية، وتشجيع حركة الترجمة وحرية الفكر والإبداع، ونجم عن ذلك تطور مختلف أصناف العلوم وظهور علماء مبدعين، ومن ذلك بروز مغنين بارعين، استحدثوا طرقا وابتكروا أدوات الطرب، التي ساهمت في تطور الغناء، ومن هؤلاء نذكر: حكم الوادي، ومعاذ بن الطبيب، والغنوي، والزبير بن دحمان، وأبو زكار الأعمى الكالوذاني، وإبراهيم بن خالد المعيطي (الطبري، د ت: ج 4، 667، 668)، وزَلزلُ (ت 175هـ/ 792م)، وإبراهيم الموصلي (ت 188هـ/ 804م)، ومُخارق (ت 231هـ/ 845م)، وعلي بن عبد الله الملقب بعَلُويه (ت ق3هـ/ ق9م)، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت 235هـ/ 849م)، وبرصوما، وابن جامع السهمي، ومسدود، وزنين، ودبيس، وعمروا الغزال، وأشعب، وزرياب (ت 230هـ/ 845م)(ابن عبد ربه، 2009: م 6، 33 - 49)، وأبو النضير الفضل بن عبد الملك، وثقيف (الأصفهاني، 1994: ج11، 191، 240).

تجدر الإشارة إلى أن بعض هؤلاء تألق نجمه في العهد الأموي، واستمرت شهرته في العهد العباسي، مثل: حكم الوادي (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 33)؛ والجدير بالذكر، أن الأمير العباسي إبراهيم بن الخليفة المهدي (ت 224هـ/ 839م) برع في الغناء، وذاع صيته في مجالس الأمراء، وكان أسود اللون، وأمه جارية سوداء اسمها شكلة، وقد دعا لنفسه بالخلافة، إلا أنه انهزم ووقع بين يدي ابن أخيه الخليفة المأمون (198- 218هـ/ 813- 833م)، فأعفى عنه وقربه مراعيا في ذلك صلة الرحم وبراعته في الغناء. ويعد مؤسس المدرسة الحديثة في الغناء محدثا بذلك تغييرا جذريا وانقلابا على المدرسة التقليدية، التي كان من أبرز روادها إسحاق الموصلي، وقد سلك مشاهير المغنين الطريقة التي وضعها إبراهيم بن المهدي، ومن هؤلاء: مُخارق، وعَلُّويه، وعمرو بن بانة، ومحمد بن الحارث بن بَسخَتَّر (ابن خلكان، 1978: م1، 39- 41؛ ابن عبد ربه، 2009: م 6، 37؛ الأصفهاني، 1952: ج1، 54؛ هنري جورج، 2010: 144).

وقد أطلق اسم ثلاثي نجوم الغناء على كل من مسدود، ورقيق، ودبيس؛ كما برع في استخدام العود الكثير من المغنين، أمثال: ثقيف، ورَبرَب، وملاحظ، ومُخارق، وعَلُّويه، وإسحاق الموصلي (الأصفهاني، 1994: ج11، 229، 240؛ الأبشيهي، 2008: 558)، إلا أن أشهرهم في ضرب العود، كان المغني زَلزلُ (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 38، 39، 364)؛ والجدير بالاهتمام جهودهم المبذولة في تطوير وتحسين طبوع الغناء وألحانه، حيث نجد أن كلا من مُخارق وعَلُّويه اجتهدا في تغيير لحن الغناء الحجازي الثقيل بإدخال أوزان الغناء الفارسي الخفيف، فصار طبعه أخف (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 38)؛ كما ابتكر المغني إبراهيم الموصلي ما يعرف بوقع الإيقاع بالقضب (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 33)؛ ولا يخف على أحد شهرة المغني زرياب التي بلغت الآفاق، والذي يعتبر نابغة عصره في الغناء، وقد ابتكر الوتر الخامس في آلة العود (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 35).

كان الخليفة هارون الرشيد قد سأل أحد ندمائه عن من شاع ذكره، وسطع نجمه، فكان جوابه أن شبه إبراهيم الموصلي بالبستان،

الذي يجمع بين الثمار والرياحين، وشبه ابن جامع السهمي بالعسل طيب المذاق (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 33؛ الأبشيهي، 2008: 557)؛ والجدير بالملاحظة أن المغنين حصلوا على أموال طائلة من مجالس الخلفاء والأمراء، إلا أن إنفاقهم لهذه الأموال اختلف حسب طبيعة سلوك كل واحد منهم، فمثلا ابن جامع السهمي فضل إنفاق أمواله على فقراء مكة (ابن عبد ربه، 2009: م 6، 11).

لم تكن مجالس العامة محط أنظار واهتمام مشاهير المغنين، بل سعى هؤلاء دوما لنيل حظوة مجالسة الخلفاء والأمراء، طمعا في كرمهم، وما يشاع عنهم من بذل المال والعطايا على الندماء من الشعراء والمغنين في مجالس السمر؛ ويتضح هذا جليا من خلال العديد من الشواهد، ومن ذلك وقوع حادثة أغضبت الخليفة الهادي (169- 170هـ/ 785- 786م)، فسخط على المغني إبراهيم الموصلي وكاد أن يقتله، ثم ذكره أنه في مجلس كثير المال والعطايا، وليس في مجالس العامة (الطبري، د ت: ج 4، 667).

إلا أن بعض خلفاء بني العباس، لم يكن لهم اهتمام ولا ميل ولا رغبة في الغناء، ومن هؤلاء الخليفة المهدي (158- 169هـ/ 775- 785م)، الذي لم يتعرف على المغني الشهير حكم الوادي، حين اعترض طريقه وجاء به الجند، فسأل عنه، فأبلغوه أنه أشهر أعلام الغناء (الطبري، د ت: ج 4، 640)؛ كما تجدر الإشارة إلى أن في سنة 169هـ/ 786م، استأذن إبراهيم بن خالد المعيطي بالدخول على الخليفة المهدي، فسأل الخليفة غنه، فأبلغوه أنه بارع في الغناء، فقال :" معيطي، ولا حاجة لي إليه فيمن أدنيه من خلوتي، ولا آنس به ". (الطبري، د ت: ج4، 639)؛ ونعتقد أن له قناعة راسخة بفساد مذهبهم في الحياة وانحراف سلوكهم، ومن ذلك أنه أمر صاحب الشرطة بتأديب ندماء ابنه الهادي ومغنيه وضربهم (الطبري، د ت: ج4، 661).

الأمر الذي يثير الاستغراب كثرة العطايا والأموال، التي كان ينفقها الخلفاء على الندماء والمغنين، ويتضح ذلك عند قراءة النصوص التاريخية، وتتبع الأخبار المتعلقة بمجالس الغناء وأحوال المغنين، ويبرز ذلك جليا من خلال العديد من الروايات، وقد تضمنت

إحداها ما كان ينفقه الخليفة الهادي على الشعراء والمغنين، التي كانت تقل أو تزيد عن أربعين ألف درهم لكل واحد (الطبري، د ت: ج4، 666).

وفي إحدى ليالي السمر، اجتمع في مجلس الخليفة الهادي كل من برع واشتهر في الغناء والطرب، أمثال: ابن جامع السهمي، وإبراهيم الموصلي، ومعاذ بن الطبيب؛ وقد أمرهم بالغناء، فلم يطرب إلا بغناء إبراهيم، فوصلهم بالعطايا، وأمر أمين خزانة المال أن يصحب معه إبراهيم، ويعطيه ما يشاء من المال، فأخذ سبعمائة ألف درهم (الطبري، د ت: ج4، 667).

وفي ليلة من الليالي، اجتمع الخليفة الهادي كعادته مع المغنين، أمثال: إسحاق الموصلي، وحكم الوادي، والغنوي، والزبير بن دحمان؛ وقد أذن لهم بالغناء، فغنى كل واحد منهم، فلم يطرب الخليفة إلا بغناء حكم الوادي، وأمر لهم بالعطايا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أعطى حكم الوادي الكثير من المال، ووهبه ثلاثة جواري لم يشهد مثلهن في الحسن والجمال (الطبري، د ت: ج4، 668).

وقد أفادت إحدى الروايات إلى إقدام الخليفة هارون الرشيد سنة 172هـ/789م، على عدم تدوين الأموال المحصلة في الديوان، وتوزيعها على ندمائه من شعراء ومغنين، وكتب لكل واحد منهم صكا بالمال (الطبري، د ت: ج4، 674)؛ وكان هذا دأب خلفاء بني العباس، فلم تكن هبة وعطايا الخليفة الأمين (193- 198هـ/ 809- 813م) تقل عن عشرين ألف درهم لكل مغني (ابن عبد ربه، 2009: ج6، 48)، وعلى هذا المسلك سار الخليفة المأمون وغيره (الأصفهاني، 1994: ج11، 228- 230).

إلا أن هؤلاء لم يسلموا من الطعن والتشهير على يدي نظرائهم من فحول الشعراء، مثل الشاعر دعبل (ت 220 هـ/ 835م)، الذي وجه انتقادا شديد اللهجة وتعليقا ساخرا؛ فنضم شعرا فيه هجاء لعدد من نجوم الغناء في عهد الخليفة المأمون، أمثال: إبراهيم بن المهدي، ومُخارق، وزُلزُل (الدينوري، 2005: 516).

تجدر الإشارة إلى أن الأموال التي تنفق على الشعراء والمغنين تقطع من مال الخزينة، وهذا في نظرنا يعتبر تعديا خطيرا على بيت

مال المسلمين، ويعد اعتقادا فاسدا لدى الخلفاء، الذين اعتقدوا أن ما في الخزينة ملكا لهم يتصرفون فيه كما يشاؤون، والأخطر في هذه المسألة أن عقد مجالس الأنس لم يكن حكرا على الخلفاء، بل شاع في مجالس الأمراء والوزراء والولاة وغيرهم من رجال الدولة؛ فقد اهتم البرامكة بمختلف أصناف الفنون، ولهم مجالس غناء مشهورة، يتنافس عليها أشهر المغنين بغية الحصول على فرصة الانضمام إليها طمعا في سخاء البرامكة؛ ففي سنة 187هـ/803م، كان المغني أبو زكار الأعمى لا ينقطع عن مجلس جعفر بن يحي البرمكي، الذي لم يبخل عليه وعلى سائر المغنين بالأموال والعطايا الكثيرة (الطبري، د ت: ج4، 709)؛ إلا أن المتتبع لأخبارهم يكتشف أن مجالسهم لم تحتضن فقط المغنين، الذين اشتهروا بالعفة وحسن الأخلاق، بل احتضنت كذلك عددا من المغنين، الذين عرفوا في أوساط العامة بالفسق والمجون، أمثال: أبو النضير الفضل بن عبد الملك، والأقيشر أبو مُعارض (الأصفهاني، 1994: ج11، 191، 167، 168).

كان الأقيشر أبو معارض سكيرا خليعا فاسد الخُلق، ولوطيا يشتهي الرجال دون النساء، ويغني شعرا خليعا في مجالس العامة مقابل خمسة دراهم، فينفق درهمين في شرب الخمر، ودرهم في الطعام، ودرهمين في كراء بغلة يستخدمها في التنقل وقضاء حاجته؛ وكان المغني أبو النضير الفضل بن عبد الملك حسن الصوت واللحن، إلا أنه كان فاسقا خليعا لوطيا، فقد طلب من المغنية مكتومة ببغداد أن يزني معها مقابل إعطائها أغنية لحنها (الأصفهاني، 1994: ج11، 193، 170، 171، 174).

وقد برع في هذه الفترة من الجواري المغنيات، غادر جارية الخليفة الهادي؛ وغريب المأمونية ابنة جعفر البرمكي، كانت قد خطفت صغيرة يوم نكبة البرامكة وبيعت، فاشتراها الخليفة الأمين ثم امتلكها الخليفة المأمون؛ والمغنية بِدعة مولاة الخليفة المأمون؛ والمغنية مؤنسة المأمونية، وهي جارية رومية كانت حظية عند الخليفة المأمون، وتعد أقرب الجواري إليه؛ وقرة العين، جارية مولدة كانت حظية عند الخليفة المعتصم بالله (218- 227هـ/ 833- 842م) (ابن الساعي، 2011: 62- 100).

هناك أيضا، فريدة الصغرى، جارية مغنية تزوجها الخليفة المتوكل (232- 247هـ/ 847- 861م)، وكانت الأحسن غناءً؛ وفريدة الكبرى الأمينية، تعد أشهر الجواري المغنيات، امتلكها الربيع بن يونس حاجب الخليفة هارون الرشيد، وتعلمت الغناء في داره، ثم امتلكها جعفر البرمكي، وحين وقعت نكبة البرامكة هربت، وقد أمر الخليفة الرشيد بالبحث عنها فلم يجدها، وامتلكها بعد ذلك الخليفة الأمين، ولما قتل هربت وتزوجت وأنجبت، وبقيت تتوارى عن الأنظار إلى أن ماتت؛ ومحبوبة جارية الخليفة المتوكل؛ وناشب المتوكلية، كانت أبرع الجواري المغنيات في عصرها (ابن الساعي، 2011: 62 – 122).

لم يقتصر الأمر على هؤلاء المغنيات، بل هناك الكثير منهن ممن ذاعت شهرتها كالمغنية عاتكة بنت شذا، التي تتلمذ على يديها مشاهير المغنين كالمغني مُخارق وإسحاق الموصلي، وبرزت في مجالس الخليفة هارون الرشيد. هذا بالإضافة إلى المغنية دنانير البرمكية، التي كانت ملكا ليحي البرمكي وأعتقها، وقد سطع نجمها في مجالس الخليفة هارون الرشيد، وتتلمذ على يديها مشاهير المغنين، أمثال: ابن جامع، وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، وفليح، وبذل. كما أن المغنية مُتيم الهاشمية اشتهرت في مجالس الأنس، التي عقدها الخليفة المأمون ومن بعده الخليفة المعتصم، وقد تتلمذت على يدي أشهر المغنين، أمثال: إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، والمغني بذل (هنري جورج، 2010: 158، 159)

تجدر الإشارة إلى المغنية بصبص، التي نالت شهرة واسعة، ليس فقط بفضل صوتها وإتقانها الغناء والطرب، بل كذلك لكونها امرأة حسناء فائقة الجمال، أذهلت الخليفة المهدي، الذي سارع إلى شرائها بمبلغ 17 ألف دينار. هذا بالإضافة إلى المغنية عُريب (ت 226هـ/ 841م)، التي أبهرت كل من رآها أو سمعها، بحسنها وجمالها وعذوبة صوتها، وإتقانها استعمال آلات الطرب، وقد كانت جارية لعبد الله بن إسماعيل، ثم أخذها الخليفة الأمين، ثم عادت إلى عبد الله بن إسماعيل بعد وفاة الخليفة الأمين، ثم انتقلت إلى الخليفة المأمون، واستمرت في الغناء إلى عهد الخليفة المعتصم. ولم تكن المغنية قلم

الصالحية أقل منهن شهرة، كانت ملكا لصالح بن عبد الوهاب، واشتراها منه الخليفة الواثق بمبلغ 10 آلاف دينار، كما أن الروايات أفادت بأن المغنيات الثلاث اللائي تغنى بهن الشعراء، هم: ذات الخال؛ سحر؛ ضياء (هنري جورج، 2010: 159)

أما المغنية عبيدة الملقبة بالطنبورية، فقد تتلمذت في بادئ الأمر على يدي المغني الزبيدي الطنبوري، وكانت تغني في مجالس العامة لتأمين قوت يومها، ثم انتقلت لخدمة مجالس الخلفاء. ونذكر من المغنيات اللائي كسبن شهرة واسعة، المغنية شارية من البصرة، وبسبب الحاجة باعتها أمها، فاشتراها الأمير إبراهيم بن المهدي، وعلمها الغناء والطرب، وأهداها لابنته ميمونة، ثم أعتقها وتزوجها، وبعد ذلك واصلت الغناء في مجالس الخليفة المعتصم، وكذلك كان حال المغنية ريق (هنري جورج، 2010: 155- 158)

الجدير بالذكر أن الإنفاق على بناء مجالس الأنس والغناء، والحرص على تزيينها وجعلها تظهر في أجمل حلة، لم يكن أقل إسرافا لأموال المسلمين من تلك التي كانت تبذل للشعراء والمغنين؛ وقد وصف أبو عكرمة مجالس الغناء، بقوله:<< ... ودخلت إلى دار لا والله ما رأيت أحسن منها بناءً ولا أطرف فرشا، ولا صباحة وجوه ... فجلست ... ثم أتينا بطعام ما رأيت أكثر منه ولا أحسن فأكلنا ... ورفع الطعام وجيء بالشراب، وقامت جارية تستقينا شرابا ما رأيت أحسن منه، في كأس لا أقدر على وصفها.... >> (ابن عبد ربه، 2009: ج6، 40)

رغم ما حظي به مشاهير الغناء من أموال وعطايا ومنزلة رفيعة لدى الخلفاء، إلا أن البعض منهم تعرض للعقاب وكاد أن يفقد حياته، ومن ذلك معاناتهم في عهد الخليفة المهدي، الذي أبعدهم عن مجالس الأنس، وساءت أحوالهم المالية، وكان يأمر صاحب الشرطة بضربهم (الطبري، د ت: ج4، 639، 661)؛ بالإضافة إلى ما تعرض إليه المغني إبراهيم الموصلي، حين غضب منه الخليفة هارون الرشيد وسخط عليه، وأمر بسجنه في المُطبق (ابن خلكان، 1978: م1، 43)، وكان هارون الرشيد قد أمر بكسر آلات الطرب ومنع الغناء، بسبب القحط والجفاف وارتفاع الأسعار، الذي عرفته البلاد (الأبشيهي،

2008: 102). كما أن المغني عَلُويه تعرض للإهانة والشتم وضُرب خمسين جلدة، وكاد أن يسجن ويقتل على يدي الخليفة الأمين بسبب وشاية الوزير الفضل بن الربيع الذي كان حاقدا عليه (الأصفهاني، 1994: ج11، 230، 231)

تجدر الإشارة إلى عزوف المغني زرياب عن مجلس الخليفة ومغادرته إلى بلاد المغرب، ولا ندري الأسباب الحقيقية وراء اتخاذ هذا القرار، إلا أننا نعتقد أن عدم إبداء الخليفة اهتماما بزرياب وقلة العطايا، كانت أحد الدوافع لاتخاذه هذا القرار؛ وهو الآخر تعرض للإهانة والشتم والضرب على يدي أمير الأغالبة زيادة الله (172- 223هـ/ 788- 837م)، الذي أصدر في حقه قرارا بالقتل إذا لم يغادر أفريقية في مدة 3 أيام (ابن عبد ربه، 2009: ج6، 364)؛ ولم يكن حالهم أفضل في عهد الخليفة القاهر بالله (320- 322هـ/ 932- 934م)، الذي أصدر قرارا سنة 321هـ، يقضي بمنع الغناء وطرد المغنين، وبيع الجواري المغنيات بأرخص الأثمان في أسواق النخاسة (ابن كثير، 2006: ج6، 525).

لم تكن كل شرائح المجتمع راضية على مجالس الغناء، التي كان يقيمها بعض المغنين وأفراد من العامة في بيوتهم؛ وهذا الرفض لم يكن نابعا من موقفهم تجاه الغناء، بل هذا الموقف ارتبط بطبيعة السلوك الاجتماعي في هذه المجالس. ونعتقد أن هذا الموقف نابع من الاحتقان الاجتماعي، الذي تولد عن ما شاع من انتشار الفسق والمجون في هذه المجالس، ويتضح ذلك جليا في إحدى الروايات التي تضمنت غضب وسخط الناس على المغني أبي النضير الفضل بن عبد الملك بسبب ما شاع من فسق ومجون في مجالس الغناء، التي كان يقيمها في بيته، وأمام تصاعد غضب الناس اضطر لمغادرة المدينة، وانتقل إلى مجلس البرامكة (الأصفهاني، 1994: ج11، 191)؛ ولابد من الإشارة إلى انتشار الغناء في جميع أقاليم بلاد المشرق، ولم يقتصر على مجالس الأنس، بل كان الرجال والنساء يأنسون بالغناء في بيوتهم وبساتينهم؛ فقد أشارت إحدى الروايات إلى تنقل الخليفة الهادي بين البيوت والضياع في إقليم جرجان، فسمع رجلا يغني

بصوت حسن، ما أثار إعجابه فطلب من صاحب الشرطة أن يأتي به (الطبري، د ت: ج4، 659).

كان الشيعة في مصر يحتفلون بأعياد النيروز ويعقدون المهرجانات، ويخرجون إلى بركة عظيمة تسمى بركة الحبش، ويجلبون معهم أفضل الثياب وأنواع الطعام والشراب، ويكثرون من إشعال الشموع، ويحيون لياليهم بالغناء؛ وقد أشارت إحدى الروايات إلى إقدام الخليفة الفاطمي العزيز بالله (365- 386هـ/ 975- 996م) على المشاركة في الاحتفالات والمهرجانات على ظهر سفينة صغيرة تسمى عشاري، صُنعت خصيصا للإبحار في الأنهر والأودية والمسالك البحرية الضيقة، وقد جلب معه أبرع الجواري المغنيات، وأفخر الثياب، وألذ أنواع الأطعمة والأشربة، وكذلك المخدرات، وكان يُؤَمِن حراسته أربع زوارق عسكرية، وقد حمل الجيش على عاتقه حماية الناس طيلة أيام الاحتفالات (ابن الأبَّار، 1985: ج1، 297).

خلاصة القول، أن أوضاع المغنين لم تختلف كثيرا عما كانت عليه في العهد الأموي؛ إلا أن الغناء وأدوات الطرب طرأ عليها تحسن، حيث اتضح من الدراسة تطور إيقاع وألحان الغناء، وإدخال تعديلات على بعض الآلات ساهم ذلك في تطور الغناء والطرب في الفترة العباسية.

الغناء وأحوال المغنين في بلاد المغرب:

عرف المشرق الإسلامي نهضة فنية، حيث أخذ الغناء والطرب نصيبا كبيرا من التطور الحضاري، الذي عرفته بلاد المشرق، وبرز الكثير من مشاهير المغنين، الذين ابتكروا ألحانا وأوزانا وإيقاعا غنائيا جديدا، وأضافوا إبداعات متميزة أحدثت تطورا في آلات الطرب. وكان الغناء مصحوبا بآلة الطرب، حاضرا في مجالس الأنس والحفلات ومجالس الضيافة، التي لم تقتصر على مجالس الخلفاء والأمراء والأشراف، بل انتشرت في مجالس العامة. إذا كان هذا حال بلاد المشرق، نتساءل عن نصيب بلاد المغرب من ذلك كله. من هنا نتساءل: كيف كان حال الغناء والمغنين ببلاد المغرب؟ وما التطور الذي طرأ عليه؟ وما مدى تأثير ذلك على بلاد المشرق وأوربا ؟

الجدير بالذكر، أننا نعتقد أن انتشار الغناء في بلاد المغرب، لم يكن أقل شأنا من بلاد المشرق، رغم ندرة الأخبار المتعلقة بمجالس الغناء؛ إلا أن المتتبع لأحوال المغنين وأوضاع بلاد المغرب، يكتشف بعض المعطيات التاريخية التي أفادت بانتقال المغني البارع زرياب، الذي وصف على أنه نابغة عصره في الغناء، وكان انتقاله إلى أفريقية ثم إلى الأندلس، قد أحدث نهضة في مجال الغناء والطرب، واعتبر مدرسة تتلمذ على يديه الكثير من المغنين المغاربة، ولقي حظوة في مجالس أمراء بني أمية، ومنزلة رفيعة في المجتمع الأندلسي (ابن عبد ربه، 2009: ج6، 35، 36)

الجدير بالاهتمام، أن بلاد المغرب والأندلس احتضنت الكثير من مشاهير المغنين والمطربين، قبل لجوء زرياب إلى الأندلس، أمثال المغني علون والمغني زرقون، اللذان يعدان من أوائل المغنين، الذين دخلوا إلى الأندلس في عهد الأمير الأموي الحكم بن هشام (180- 206هـ/ 796- 822م)، وساهما في إحياء مجالس الأنس والغناء، التي كان يعقدها الأمير الحكم بن هشام، التي ضمت أيضا المغني والملحن البارع عباس بن النسائي، الذي اعتلى منزلة رفيعة لدى الأمير الحكم، وبفضل ذلك خصه بتلحين وغناء قصائده (هنري جورج، 2010: 154)

لابد من الإشارة إلى أن المغني منصور اليهودي، كان الأشهر بين مغني البلاط الأموي، والأقرب إلى الأمير الحكم من بين جميع ندمائه، واستمر على هذه المنزلة إلى عهد الأمير الأموي عبد الرحمن ابن الحكم (206- 232هـ/ 822- 847). وقد أمره الأمير عبد الرحمن بتحضير استقبال عظيم يليق بمنزلة المغني زرياب، حين لجأ إلى الأندلس، وقد اشتدت المنافسة بين المغني زرياب والمغنيين علون وزرقون في مجالس الأمير عبد الرحمن، وانتهت بتفوق زرياب، الذي أبدع في الغناء والطرب، وساهم بشكل فعال في تطويرهما بالأندلس، فابتكر الوتر الخامس، وقد خصه الأمير عبد الرحمن بمنزلة رفيعة وقربه، وأهداه قصرا وخصص له راتبا سنويا قدره 40 ألف دينار. وصار بيت زرياب من أشهر بيوت الغناء والطرب بالأندلس، حيث نال أولاده من بعده شهرة واسعة، وحظوة في مجالس الأمراء

والأشراف (المقري، 2008: م3، 613، 615؛ هنري جورج، 2010: 152- 155).

لم يقتصر الأمر على المغني زرياب، بل سبقه إلى النجومية في فن الغناء بالأندلس عدد من العلماء، الذين لم تمنعهم شهرتهم في العلم من الإبداع في الغناء والطرب، ومن هؤلاء نذكر: الطبيب الرازي محمد بن زكرياء (ت 320 هـ/ 932م)، الذي برع في ضرب العود؛ فأبدع في فن الطرب، ثم اعتزل ذلك كله، وأقبل على طلب العلم؛ إلا أن هذا الفن لم يكن حكرا على المسلمين، بل أقبل غيرهم من أهل الذمة على تعلم الطرب وضرب العود حتى برعوا فيه، مثل اليهودي حمداي الإسرائيلي (كان من أهالي القرن 4 هـ/10م)، الذي برع في شتى أصناف العلوم، كالفلسفة والمنطق والرياضيات وعلم النجوم والترجمة واللغة العربية والشعر. ويعد أول من وضع الفقه والشريعة اليهودية بالأندلس، وكان اليهود قبله يحتكمون في شؤونهم إلى أحبار العراق؛ إلا أن هذا لم يمنعه من الإبداع في فن الطرب، واشتهر به في مدينته سرقسطة، وذاع صيته في الكثير من بلاد الأندلس (ابن صاعد، 1998: 72، 112).

قد عرف الأندلس مغنيات بارعات كالمغنيتين غزلان وهنيدة، وهما مغنيتان بارعتان ومحبوبتان لدى المغني زرياب، فقد شاركهما أفكاره وألحانه (هنري جورج، 2010: 153). الجدير بالذكر، أن علم العروض انتقل من المشرق إلى الأندلس على عهد الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم، وكان عباس بن فرناس (ت273هـ/ 887م) أول من قرأ وشرح كتاب العروض لمؤلفه خليل بن أحمد الفراهيدي (ت 174هـ/ 789م)، الذي جلبه تاجر عراقي إلى الأندلس (أحمد مختار العبادي، د ت: 153). والأمر المثير للاهتمام، انتقال المغنية البارعة قمر البغدادية من بغداد إلى إشبيلية بالأندلس، التي اشتراها أميرها إبراهيم بن حجاج (286- 298هـ/ 899- 911م)، وذلك في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد (275- 300هـ/ 888- 913م)، وقد نالت شهرة واسعة بالأندلس، وصارت مدرسة غناء وطرب، ساهمت في تخريج الكثير من المغنين والمطربين بالأندلس (أحمد مختار العبادي، د ت: 158)

الجدير بالاهتمام، أن الأندلس رغم استفادتها من استقطاب أبرع المغنين والمطربين المشرقيين، وكذلك الاستفادة من كتاب العروض، إلا أن الأندلس شهدت ثورة فنية عظيمة، نال الغناء والطرب نصيبا وافرا منها، ومن ذلك نذكر ابتكار ما يعرف بالموشحات على يدي مقدم بن معافي، وهو رجل ضرير من قرية قيرة، التي تقع ضواحي مدينة قرطبة أواخر القرن 3هـ/ 9م، وذلك على عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد، مع العلم أن هناك اختلاف في الروايات حول أصل نشأة الموشحات. والجدير بالذكر أنها انتشرت بين أوساط العامة بالأندلس والمغرب، ثم انتقلت إلى بلاد المشرق، فانبهر بها أهلها وتأثروا كثيرا (المقري، 2008: م3، 151؛ أحمد مختار العبادي، د ت: 161، 163)

قد استخدم مطربي بلاد المغرب أنواعا كثيرة من آلات الطرب، بما فيها ناي زنامي، الذي حمل اسم مخترعه، إلا أن سكان المغرب حرفوا اسم الآلة إلى ناي زلامي (هنري جورج، 2010: 155). وكانت أسواق بلاد المغرب تعد أفضل الأماكن، التي تعتبر مقصدا للمغنين والمطربين طلبا للرزق، ومن هؤلاء المطربين، نذكر، مُنير ابن أحمد بن مُفلج الطرابلسي، أحد أشهر المغنين والمطربين، الذين تنقلوا بين أسواق طرابلس، وما زاد في شهرته كونه والد الشاعر مهذب الدين عين الزمان، الذي كان من مشاهير شعراء ذلك العصر، وله ديوان شعر مشهور (ابن خلكان، 1978: م1، 156).

تجدر الإشارة إلى تفشي الغناء والطرب في المغرب والأندلس، حيث كان حاضرا في مجالس الأنس والحفلات وكذلك مجالس الضيافة، ولم يقتصر على مجالس الأمراء والأعيان، بل انتشر في مجالس العامة بالإضافة إلى الأسواق والأماكن العامة؛ فلما استفحل انتشاره تدخل العديد من الفقهاء للحد من ذلك، ومن هؤلاء الفقيه ابن أبي عيسى القاضي محمد بن عبد الله (ت339هـ/ 951م)، الذي أقدم على كسر آلة طرب لوصيف أحد كبار أعيان الدولة وعظماء البلد، رغم محاولات العديد منعه فعل ذلك (القاضي عياض، 1998: م2، 84، 86).

لم يقتصر تأثر بلاد المشرق بالموشحات الأندلسية، بل انتقلت الموشحات إلى أوربا، ونتيجة لذلك ظهر ما يعرف بالشعر البروفنسي. والمثير للاهتمام، أن المغنين المتجولين في جنوب فرنسا وإيطاليا كانوا يجيدون غناء الموشحات الأندلسية. ولابد من الإشارة إلى أن فن الغناء والطرب انتقل من الأندلس إلى مملكتي قشتالة وأرغون ثم إلى باقي دول أوربا (أحمد مختار العبادي، د ت: 163، 164). وقد تتلمذ محبي الغناء والطرب الأوربيين على أيدي أساتذة بارعين من الأندلس، ونقلوا من الأندلس إلى أوطانهم العديد من أنواع آلات الطرب بأسمائها العربية، واستمرت تحمل هذه الأسماء مع بعض التصحيف والتحريف إلى غاية عصرنا هذا، نذكر من ذلك، كلمة لوت (lute)، وأصلها في العربية: كلمة العود. وكذلك كلمة نكر (naker)، وأصلها في العربية: كلمة نقرة (عباس محمد العقاد، 2002: 68).

الجدير بالذكر، أن المغنين الأوربيين، لم يتعلموا الغناء العربي وينقلوا آلات الطرب إلى أوربا فقط، بل تأثروا حتى بلباس المغنين المغاربة، الذين كانوا يتزينون فيطلون خدودهم ويكحلون جفونهم لجذب الناس في الأسواق، فانتقلت هذه الزينة واللباس إلى الأوساط الفنية في أوربا. ويمكن القول أن من الشواهد التي تدل على ذلك التأثير العظيم، ما ذكره فارمر، أحد خبراء تاريخ الموسيقى، على أن أحد أنواع الموسيقى الهرمونية الحديثة، التي يطلق عليها التركيب، أصلها يعود إلى الموسيقى العربية الإسلامية، وهي ذات نغمة واحدة في عدة طبقات في وقت واحد، وقد ساهمت ترجمة ودراسة علماء أوربا لمؤلفات الموسيقى العربية الإسلامية في تطور الغناء والموسيقى الأوربية (عباس محمد العقاد، 2002: 68).

الجدير بالاهتمام، أن البعثات العلمية الأوربية كانت تتوجه إلى مدن الأندلس، كمدينة قرطبة لطلب العلم، ومنهم من كان يقصد تعلم الغناء واستخدام آلات الطرب، وكان يشترط عليهم تعلم اللغة العربية، والأمر المثير للاهتمام، ما ذكره بعض الخبراء على أن لا فرق واضح بين الموسيقى العربية والأوربية (عباس محمد العقاد، 2002: 69). ويمكن القول أن هذا الازدهار الذي عرفه الأندلس والمغرب، وبلغ تأثيره مدن المشرق وأوربا، لم يكن يقتصر على الفئات

الاجتماعية الحاكمة والغنية، بل كانت له قابلية عظيمة في الأوساط الاجتماعية العامة والبسيطة، نظرا لعمق الرغبة المتأصلة في الوسط الاجتماعي المغربي للغناء والطرب، بحيث أفادت بعض الروايات أن المجتمع المغربي، كان يحتفل في الأفراح ويحي مجالس الأنس والحفلات بحضور فرقة المغنين وفرقة العزفة، الذين كانوا يستخدمون أنواعا من آلات الطرب كالمزاهر والمزامير (الشماخي، 2009: ج2، 734).

خلاصة القول، شهد المغرب والأندلس ثورة غناء وطرب، بعد الاستفادة من خبرة وعلم بعض مشاهير الغناء والطرب القادمين من المشرق، وما توصلنا إليه أنه لم يقف تأثير النهضة التي شهدها الأندلس عند بلاد المشرق، بل انتقلت من الأندلس إلى أوربا، التي استفادت منها في إحداث تطور نوعي في الغناء وآلات الطرب خلال العصر الحديث.

خاتمة:

توصلنا في ختام الدراسة إلى عدة استنتاجات، ووقفنا على مجموعة من المخرجات، أهمها:

الغناء مباح في الأعراس والمناسبات الشرعية، وفق شروط معلومة حددها الباحث في الدراسة.

استمرارية الغناء في المجتمع من العصر الجاهلي إلى صدر الإسلام، واقتصر على الجواري المغنيات في أوساط النساء على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وكان طويس أول رجل مغني في الإسلام على عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

إقامة أول مجلس أنس في فترة حكم بني أمية، وذلك على عهد الخليفة يزيد بن معاوية.

الغناء كان شائعا لدى كافة شرائح المجتمع، وإقامة مجالس الأنس، لم تقتصر على قصور الخلفاء والأمراء والولاة، بل انتشرت في دور المغنين والعامة.

تأرجحت أحوال المغنين في فترات متباينة بين حياة البذخ والترف، وحياة البؤس والمعاناة، وارتبط ذلك بموقف الخلفاء الأمويين والعباسيين من الغناء.

حدث تطور نوعي في قواعد الغناء من حيث الوزن والإيقاع خلال هذه الفترة.

استخدام آلات موسيقية متنوعة، وتحقيق ابتكارات خاصة في آلة العود على يد المغني زرياب، أحدث قفزة نوعية في مجال الغناء خلال العصر الوسيط.

أسهم الرقي الفني وتطور الغناء والموسيقى، الذي شهده العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط في النهضة الفنية التي عرفتها أوربا خلال العصر الحديث.

المراجع:

- ابن الأبَّار، أبو عبد الله، (1985)، الحُلة السِّيَرَاء، ج1، تحقيق حسين مؤنس، ط2، القاهرة: دار المعارف
- الأبشيهي، (2008)، المستظرف في كل فن مستطرف، تحقيق محمد خير طعمة، ط5، بيروت: دار المعرفة
- الأصفهاني، أبو الفرج، (1952)، الأغاني، ج1، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية
- الأصفهاني، أبو الفرج، (1928)، الأغاني، ج2، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية
- الأصفهاني، أبو الفرج، (1994)، الأغاني، ج11، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي، (1987)، الكامل في التاريخ، ج4، تحقيق عبد الله القاضي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية
- البخاري، أبو عبد الله محمد، (2002)، صحيح البخاري، ط1، بيروت: دار ابن كثير
- الدينوري، مسلم بن قتيبة، (2003)، المعارف، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية
- الدينوري، مسلم بن قتيبة، (2005)، الشّعر والشُعراء، ط 2، بيروت: دار الكتب العلمية
- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي، (1987)، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج1، تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر

- الطبري، أبو جعفر محمد، (1994)، تفسير الطبري، م6، تحقيق بشار عواد وعصام فارس، بيروت: مؤسسة الرسالة
- الطبري، أبو جعفر محمد، (د ت)، تاريخ الأمم والملوك، ج4، القاهرة: الدار التوفيقية
- ابن كثير عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل، (1999)، تفسير القرآن العظيم، ج5، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ط2، الرياض: دار طيبة
- ابن كثير عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل، (2006)، البداية والنهاية، ج6، ط1، الجزائر: دار الإمام مالك
- محمد، عمارة، (1999)، الغناء والموسيقى حلال أم حرام، القاهرة: دار نهضة مصر
- محمد، أسعد طلس، (1983)، تاريخ العرب، م1، ط3، بيروت: دار الأندلس
- المقري، أحمد، (2008)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، م3، تحقيق إحسان عباس، ط1، الجزائر: دار الأبحاث
- ابن الساعي، تاج الدين، (2011)، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، ط1، بيروت: منشورات الجمل
- العقاد، عباس محمد، (2002)، أثر العرب في الحضارة الأوربية، ط2، الإسكندرية: دار نهضة مصر
- العبادي، أحمد مختار، (د ت)، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت: دار النهضة العربية
- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد، (2009)، العقد الفريد، ج6، تحقيق محمد التونجي، بيروت: دار صادر
- فارمر، هنري جورج، (2010)، تاريخ الموسيقى العربية، ترجمة حسين نصار، القاهرة: المركز القومي للترجمة
- فياض، ليلى، (1992)، موسوعة أعلام الموسيقى العرب والأجانب، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية
- ابن صاعد الأندلسي، (1998)، القاهرة: دار المعارف

- القاضي عياض، أبو الفضل، (1998)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، م2، ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية
- قسطندي، رزق، (د ت)، الموسيقى الشرقية والغناء العربي، القاهرة: دار كلمات عربية للترجمة والنشر
- القرطبي، أبو عبد الله محمد، (2006)، الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنته في السنة وآي الفرقان، ج16، تحقيق عبد الله التركي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد، (2011)، الكلام على مسألة السماع، تحقيق محمد شمس، ط1، مكة: دار عالم الفوائد
- الشماخي، أبو العباس أحمد، (2009)، السير، ج2، تحقيق محمد حسن، ط1، بيروت: دار المدار الإسلامي
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد، (1978)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، م1، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر
- ابن تيمية، مجد الدين أبو البركات، (1995)، المنتقى في الأحكام الشرعية في كلام خير البرية صلى الله عليه وسلم، تحقيق طارق بن عوض الله، ط1، الرياض: دار ابن الجوزي
- الترمذي، أبو عيسى محمد، (1996)، الجامع الكبير، م2، تحقيق بشار عواد، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

للإحالة على هذا المقال:

- داودي الأعرج، (2022)، «**الغناء والطرب عند المسلمين (ق 1 - 4 هـ / ق 7 - 10 م)**» . **المواقف**، المجلد: 17، العدد: خاص، جانفي 2022، ص. ص 662- 699.